

سُورَةُ النَّاسِ

مكية .. وآياتها ست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ 1 مَلِكِ النَّاسِ 2 إِلَهِ النَّاسِ 3 مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ 4 الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ 5 مِنْ
الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ 6)

* * *

الاستعاذة في هذه السورة برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ،
والمستعاذ منه هو : شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور
الناس ، من الجنة والناس .

والاستعاذة بالرب ، الملك ، الإله ، تستحضر من صفات الله - سبحانه
- ما به يدفع الشر عامة ، وشر الوسواس الخناس خاصة .

فالرب هو المربي والموجه والراعي والحامي . والملك هو المالك
الحاكم المتصرف . والإله هو المستعلي المستولي المتسلط . . وهذه
الصفات فيها حماية من الشر الذي يتدسس إلى الصدور . . وهي لا تعرف
كيف تدفعه لأنه مستور .

والله رب كل شيء ، وملك كل شيء ، وإله كل شيء . ولكن
تخصيص ذكر الناس هنا يجعلهم يحسون بالقربى في موقف العياد والاحتماء

والله - برحمة منه - يوجه رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأُمَّته إلى
العياد به والالتجاء إليه ، مع استحضر معاني صفاته هذه ، من شر خفي
الديب ، لا قبل لهم بدفعه إلا بعون من الرب الملك الإله . فهو يأخذهم من
حيث لا يشعرون ، وبأبيهم من حيث لا يحتسبون . والوسوسة : الصوت
الخفي . والخنوس : الاختباء والرجوع . والخناس هو الذي من طبعه كثرة
الخنوس .

وقد أطلق النص الصفة أولاً : " الوسواس الخناس " . . وحدد
عمله : " الذي يوسوس في صدور الناس " . ثم حدد ماهيته : " من
الجنة والناس " . . وهذا الترتيب يثير في الحس اليقظة والتلفت والانتباه

لتبين حقيقة الوسواس الخناس ، بعد إطلاق صفته في أول الكلام ؛ ولإدراك طريقة فعله التي يتحقق بها شره ، تأهباً لدفعه أو مراقبته !

والنفس حين تعرف - بعد هذا التشويق والإيقاظ - أن الوسواس الخناس يوسوس في صدور الناس خفية وسراً ، وأنه هو الجنة الخافية ، وهو كذلك الناس الذين يتدسسون إلى الصدور تدسس الجنة ، ويوسوسون وسوسة الشياطين . . النفس حين تعرف هذا تتأهب للدفاع ، وقد عرفت الممكن والمدخل والطريق !

ووسوسة الجنة نحن لا ندري كيف تتم ، ولكننا نجد آثارها في واقع النفوس وواقع الحياة . ونعرف أن المعركة بين آدم وإبليس قديمة قديمة ؛ وأن الشيطان قد أعلنها حرباً تنبثق من خليقة الشر فيه ، ومن كبريائه وحسده وحقده على الإنسان ! وأنه قد استصدر بها من الله إذناً ، فأذن فيها - سبحانه - لحكمة يراها ! ولم يترك الإنسان فيها مجرداً من العدة . فقد جعل له من الإيمان جنة ، وجعل له من الذكر عدة ، وجعل له من الاستعاذة سلاحاً . . فإذا أغفل الإنسان جنته وعدته وسلاحه فهو إذن وحده الملوم !

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا غفل وسوس ⁽¹⁾ . "

وأما الناس فنحن نعرف عن وسوستهم الشيء الكثير . ونعرف منها ما هو أشد من وسوسة الشياطين !

رفيق السوء الذي يتدسس بالشر إلى قلب رفيقه وعقله من حيث لا يحتسب ومن حيث لا يحترس ، لأنه الرفيق المأمون !

وحاشية الشر التي توسوس لكل ذي سلطان حتى تتركه طاغية جباراً مفسداً في الأرض ، مهلكاً للحرث والنسل !

والنمام الواشي الذي يزين الكلام ويزحلقه ، حتى يبدو كأنه الحق الصراح الذي لا مرية فيه .

وبائع الشهوات الذي يتدسس من منافذ الغريزة في إغراء لا تدفعه إلا يقظة القلب وعون الله .

وعشرات من الموسوسين الخناسين الذين ينصبون الأحابيل ويخفونها ، ويدخلون بها من منافذ القلوب الخفية التي يعرفونها أو يتحسسونها . . وهم شر من الجنة وأخفى منهم دبيباً !

والإنسان عاجز عن دفع الوسوسة الخفية . ومن ثم يدلله الله على عدته وجنته وسلاحه في المعركة الرهيبة !

¹ أخرجه البخاري معلقاً .

وهناك لفظة ذات مغزى في وصف الوسواس بأنه " **الخناس** " . .
فهذه الصفة تدل من جهة على تخفيه واختبائه حتى يجد الفرصة سانحة
فيدب ويوسوس . ولكنها من جهة أخرى توحى بضعفه أمام من يستيقظ
لمكره ، ويحمي مداخل صدره . فهو - سواء كان من الجنة أم كان من
الناس - إذا ووجه خنس ، وعاد من حيث أتى ، وقيع واختفى . أو كما قال
الرسول الكريم في تمثيله المصور الدقيق : " فإذا ذكر الله تعالى خنس ،
وإذا غفل وسوس " . .

وهذه اللفظة تقوي القلب على مواجهة الوسواس . فهو خناس .
ضعيف أمام عدة المؤمن في المعركة .

ولكنها - من ناحية أخرى - معركة طويلة لا تنتهي أبدا . فهو أبدا قابع
خانس ، مترقب للغفلة . واليقظة مرة لا تغني عن اليقظات . . والحرب
سجال إلى يوم القيامة ؛ كما صورها القرآن الكريم في مواضع شتى ، ومنها
هذه الصورة العجيبة في سورة الإسراء :

" **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس ،
قال : أسجد لمن خلقت طينا ؟ قال : أرايتك هذا الذي كرمت
علي لئن أخرجتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا .
قال : اذهب فممن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا .
واستغزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعدهم ، وما يعدهم
الشیطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى
بربك وكیلا " . .**

وهذا التصور لطبيعة المعركة ودوافع الشر فيها - سواء عن طريق
الشیطان مباشرة أو عن طريق عملائه من البشر - من شأنه أن يشعر
الإنسان أنه ليس مغلوبا على أمره فيها فإن ربه وملكه وإلهه مسيطر على
الخلق كله وإذا كان قد أذن لإبليس بالحرب فهو آخذ بناصيته . وهو لم
يسلطه إلا على الذين يغفلون عن ربهم وملكهم وإلهم فأما من يذكرونه
فهم في نجوة من الشر ودواعيه الخفية فالخير إذن يستند إلى القوة التي لا
قوة سواها وإلى الحقيقة التي لا حقيقة غيرها يستند ودواعيه الخفية فالخير
إذن يستند إلى القوة التي لا قوة سواها وإلى الحقيقة التي لا حقيقة غيرها .
يستند إلى الرب الملك الإله . والشر يستند إلى وسواس خناس يضعف عن
المواجهة ويخنس عند اللقاء وينهزم أمام العياذ بالله . .

وهذا أكمل تصور للحقيقة القائمة عن الخير والشر كما أنه أفضل
تصور يحمي القلب من الهزيمة ويفعمه بالقوة والثقة والطمأنينة . .

والحمد لله أولا وأخيرا . وبه الثقة والتوفيق . . وهو المستعان المعين . . .



الدّال على الخير كفاعله

**موقعنا على الانترنت
منبر التوحيد
والجهاد**

<http://www.tawhed.ws>
<http://www.almaqdes.com>
<http://www.alsunnah.info>